

توظيف الأسطورة في عالم هوليود -الميل الأخضر أنموذجاً-

تجربة سينمائية عن الفراغ الروحي

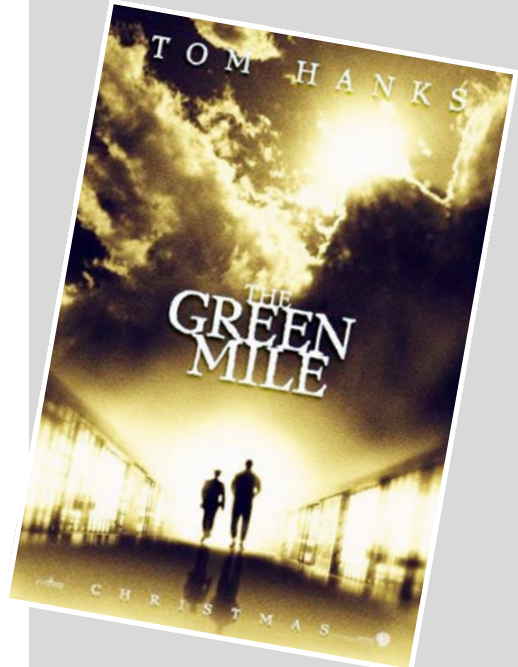
◆ آفاق سبيريذ

التقدم العلمي أدى إلى أفول نجم الأسطورة، مما نتج عن كل ذلك حنينٌ ونوقٌ إلى الأسطورة من جديد بسبب الضغوطات المادية وتازم الوضع الراهن.

يتكى عالم هوليود على توظيف الأسطورة واستقراء الذاكرة الجمعية للمشاهد الأمريكي والغربي لتعطيه ما ينوق إليه، مع تقنية بصرية عالية، ولا شك أن استحضر الأسطورة يعني استحضر التاريخ والخرافة والسحر والروحانيات ومعتقدات الشعوب وتقاليدها، ولأن استحضر الأسطورة يكون بمثابة حصن للإنسان الحدائوي المهزوم من الداخل والخارج، ومنحه فرصة ثانية للانتصار على واقعه السيئ، وقد يعني قبول الأسطورة والارتقاء في أحضانها، قبولاً للخرافي والغيبي واللاعقلاني، وتغيباً لكل ما هو عقلاني، وتهيئةً للبطل المنقذ، غودو، المنتظر الذي لم يره أحد، والاستعلاء على صوت العزف المنفرد للكاتب الروائي أو سيناريست الفيلم، فتناولت الميلودراما، التي ركزت فئات محددة،

(نحن الآن مهددون من خلال ليس فقط توقع أن نصبح كائنات استهلاكية فقط، قادرة على استهلاكية فقط، قادرة على استهلاك أي شيء من أية بقعة في العالم ومن أية ثقافة، بل وأيضاً أن نفقد كل أصالتنا)

كلود ليفي شتراوس-الأسطورة والمعنى-ترجمة د.شاكر عبد الحميد-1986-دار الشؤون الثقافية-بغداد-ص39.



يدفع الإنسان لقبول الأسطورة...
 لماذا تركز السينما على الجسد غالباً في
 تارجحها بين الجسد والروح؟
 لماذا انحازت هوليوود إلى عالم الروح في فلم
 الميل الأخضر؟
 لماذا تحاول مجتمعات العالم الثالث تقليد
 المجتمعات الغربية التي تعاني الخواء والفراغ
 الروحي بجانب أزمات اجتماعية خطيرة؟
 هل يعكس هذا الخواء الروحي، إقبالهم
 وتصديقهم كرامات خرافية لشخصيات وهمية؟
 هل الوفرة المادية، والتفوق العلمي، كافيتان
 لإسعاد الإنسان؟
 إذا كانت الإجابة بنعم، فلماذا لا ينتحر إلا
 الأغنياء؟ وخاصة سكنة ناطحات السحاب بحسب
 الإحصائيات؟ وإذا كانت الإجابة بلا، فلماذا لا
 يشعر الفقراء بالسعادة؟ وهل سعادة الجاهل
 صائبة؟ كما قال المتنبي: ذو العقل يشقى في
 النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
 لماذا كلما تقدم الإنسان علمياً كلما أدرك
 ضالة تقدمه؟ إذا كانت الأرض التي نعيش عليها
 عمرها 4.5 بليون سنة، والشمس أكبر من الأرض
 300,130,000 مرة، وهي نجم واحد من مجرة درب
 التبانة، ضمن عدد لا نهائي من المجرات، فما هو
 حجم الإنسان الحقيقي في هذا العالم الفسيح؟
 وإذا عاد إلي جسده فرغم الكثير من
 الاكتشافات، زالت هناك أسرار كثيرة تحيط
 بالأجهزة التي تعمل في جسده، فعدد نبضات
 القلب الطبيعي تقريباً 72 نبضة في الدقيقة وتزيد
 عند الخطر ثلاثة أضعاف، أما عدد مرات التنفس
 في الدقيقة 18-15 مرة وتزيد في الحمى إلى 30
 مرة في الدقيقة، وغيرها الكثير من الحقائق
 العلمية عن الجسد، فما بالك بالروح التي ليس
 لدينا عنها حقيقة واحدة، رغم الدراسات والبحوث
 الكثيرة؟ كلنا يعرف احتياجات الجسد، ويسأل
 عنها ويطلبها، فهلاً من يسأل عن احتياجات
 الروح؟ كلما أغرق الإنسان نفسه في الشهوات

كأفلام الحب الأسطوري المحافظ، وأفلام الدعاية
 المضادة لانتشار الشيوعية أثناء الحرب الباردة،
 كسلسلة جيمس بوند، والتي استبدلت اليوم
 بالدعاية ضد الإسلام، فلا يخلو فلم من التنويه
 من أن البطل أو أحد أصدقائه كان من الذين
 شاركوا في الفلوجة، أو في أفغانستان، أو التنويه
 بالخطر الإسلامي المحدق، وفئة أفلام هوليوود
 الملحمة، سواء التاريخية أو الخيال العلمي، كفلم
 ترويا طروادة، وفلم يوم الاستقلال، وماتركس
 وسيد الخواتم، ومغامرات أديانا جونز والبحث
 عن الكاس الأسطورية، بحجة أن مخرجي الأفلام
 يعتمدون على تألف الجمهور مع الأسطورة، وتبين
 أن واضعي هذه الملامح الأسطورية يتم تنشيطهم
 في أوقات معينة لتتماشى مع السياسة، وهناك
 البطل الأسطوري: سوبرمان/ الرجل الطواظبات
 (مان)، والعنكبوت (سبايدر مان) وطرزان وهرقل،
 ورامبو، وأرنولد وفان دام، ميل جيسون في
 سلسلة السلاح الفتاك، وبروس ويلز في سلسلة
 الموت الصعب... الخ

بماذا سيشعر المشاهد الأمريكي أمام بطل
 هوليوود الأسطوري؟ ألن يشعر بالفخر لوجود بطل
 أسطوري لا يقهر يقتل أعداءه وأعداء الإنسانية،
 ويضحى بحياته من أجل ابتسامة طفل؟
 بماذا سيشعر المشاهد العربي؟ ألن يشعر
 بالامتهان والذل والنقص أمام البطل/البطلة
 الشجاع الذي لا يعرف الخوف طريفاً إلى قلبه،
 وهو ملم بالمعلومات التقنية كافة، وبجيد القفز
 بالمظلة وسياقعة الطائرة والسيارة والدراجة
 الهوائية، والقادر على تشغيل الأجهزة كافة؟
 الميل الأخضر نموذج للتفاعل الأسطوري مع
 السينما في هوليوود، كما إن البحث عن الأسطورة
 ومضمونها في الخطاب الهوليوودي، سيثبت لنا
 مدى تغلغل الأسطورة في العقل الهوليوودي
 الغربي، الذي يحاول أن يضيف أجواء أسطورية
 على فعاليات الحياة اليومية كافة، والابتعاد
 المتزايد على الدوام عن الواقع المادي والعنيف،

الإثارة والتشويق، ويدفع من أجلهما مالأً وجهداً، أما المعرفة والعلم فزبائنهما رجال ذوي خصوصية عالية، لذا نجد الإقبال الشديد على الرواية البوليسية الحديثة، كروايات دان براون، حقيقة الخديعة، والحصن الرقمي، وشيفرة دافنشي، وروايات ستيفن الملك، ذكرت مجلة لير حصول الروائي ستيفن الملك عام 1989 على 26 مليون دولار عن حقوقه عن أربع روايات قبل أن يشرع في تأليفها، وفي دراسة نشرتها مجلة بانوراما الإيطالية إن ستيفن الملك يبيع من كل رواياته 10 ملايين نسخة، ولد ستيفن عام 1947،

والصفات السلفية كالحسد والطمع والغضب والشراهة كلما ضعفت قواه الروحية، وبحسب أبو حامد الغزالي، فإنّ مآثرات الذنوب تنحصر في أربع: صفات ربوبية: كالتكبر والفخر وحب المديح، وصفات شيطانية: كالحسد والظلم والحيلة والخداع والغش والنفاق والبدع والضلال، وصفات بهيمية: كالتشره والكذب والحِرص على قضاء شهوة البطن والفرج وتستتبع جمع المال بأية طريقة، وصفات سبعية: كالغضب والحقد وشهوة إلقاء الآخر التهجم على الناس بالضرب والستم والاعتداء عليهم بتهجيرهم وقتلهم

وتعذيبهم، ديننا يأمرنا بالتعلم من الآخر ولو كان الشيطان نفسه، كما في صحيح البخاري (صَدَقَ وَهُوَ كذوب) باب صفة إبليس وجنوده.

كيف استولى الفراغ الروحي على قلوب أفراد مجتمع ما بعد الحداثة؟ وهل يقف هذا الفراغ وراء الإقبال على أفلام من طراز الميل الأخضر؟ كيف استطاع الفلم تقريب الفكرة الميتافيزيقية للفلم من الواقع الصائر المحتمل؟ ألم يُحدث الفلم تجديداً واستحداثاً لفكرة قوى الإنسان الروحية؟ 1- استطوع نجم النص البوليسي: الإنسان يبحث عن



ترشح الفلم لأربع جوائز من ترشيحات الأكاديمية الأوسكار للعام 2000 ولم يفز بأي منها (أفضل ممثل مساعد، أفضل صورة، أفضل صوت، وأفضل كتابة: أنتج نص سينمائي مستند علي المادة سابقاً أو نُشر) وحقق إيرادات مرتفعة، العتبة الأولى للنص عكسته خاتمة الفلم، لتسبب ولو صدمة خفيفة، أو مفاجأة غير متوقعة، فالسارد رجل عجوز، تجاوز المائة يقول بعد أن أنهى الحكاية، مفسراً مسافة الميل الأخضر التي تفصل بين زنازين المحكوم عليهم بالإعدام، وبين غرفة مقعد الإعدام، ولكل إنسان ميله الأخضر طال أو قصر، يمشي عليه بين الميلاد والموت، وجمع الفلم بين عنوان لمّاع، لإثارة الانتباه، وبين أسلوب قوي الجذب، وبين فكرة عذراء وموضوع مُختلّق، اختيار اللون الأخضر، لون أرض الجنة، بحسب الحديث، ورؤيته بحسب علماء النفس تهديء الأعصاب، وهو رمز الخير والسلام.

أ- فريق العمل:

فرانك داربونت مخرج وسيناريسست الفيلم، صاحب الرائعة الشهيرة إصلاحية شوشانك للروائي ستيفن الملك أيضاً، أول أفلامه الروائية الطويلة والتي كانت تتنافس على الأوسكار عام 1995، وتدور أحداثه في السجن أيضاً، والميل الأخضر من بطولة نجوم السينما توم هانكس المولود 9 يوليو 1956 في ولاية كاليفورنيا، له العديد من الأفلام منها إنقاذ الجندي رايان، والطريق إلى الهلاك، ويظهر في الفلم بدور السارد الراوي بول إجيكومب، الذي كان يعمل كحارس لسجن المحكومين بالإعدام في الثلاثينات، والرجل الذكي العاقل، مثال رائع على المصادقية والعبقرية، يقوم بدوره بهدوء ورزانة كما يتطلب دوره، يوازي أدائه الهادئ آل باتشينو وأندي كارسيا، والشخصية الثانية للممثل مايكل كلارك دنكان المولود 10/12/1957، من عائلة أفريقية في شيكاغو ساعدته ضخامته (طول 196 سم ووزن 122 كغم) أن يعمل كحارس أمن في النوادي

ونشر روايته الأولى ساحرات ساليام عام 1972، دفعه حبه للمغامرة إلى العمل ككاتب سيناريو، وجرب التمثيل السينمائي والإخراج ترشح لعدة جوائز أوسكار، وهو يستغل تفاوت وجود مشاعر الخوف الإنساني، لدى قراء نصوصه ومشاهدي أفلامه بإشعارهم بأنهم سيتغلبون على مخاوفهم بالتدريب والتدريب ومعاشية الخطر الذي يعيشه الآخرون، ويهتم دوماً بالتوغل داخل قوى الإنسان الخفية، كالإيحاء الذاتي والتواصل وتحريك الأشياء عن بعد، ومع كل رواية يكشف عن قوى جديدة مختلفة، وظواهر مختلفة، موجودة لدى بعض البشر، وهبها الله لبشر طبيين، مغلوبين على أمرهم، يقعون في أزمات بسبب مواقف الآخرين الشريرة، نجح ستيفن في إعطاء أبطاله علاقة خاصة بالحياة والكون من خلال حيوية روحية تميزهم كشخصية أليوشا في الأضوة كرامازوف، وتبلغ طبيبتهم حداً لا يترك إلا وأنت تبكي.. ففي رواية كاري، التي تحولت إلى فلم عام 1976 أخرجها بريان دي بالما، كاري اسم فتاة تعيش مع أم تعاني كبتاً لهجران زوجها لها، فتنتقل كاري من الطفولة إلى المراهقة، في جو مكبوت، وتحاول الأم منعها من مخالطة الشباب، يسخر منها أقرانها، يدفعون شاباً منهم إلى النظار بحبها، ويختارونها ملكة جمال حفل المدرسة، وفي قمة لحظة سعادتها، يرمون فوقها بدماء الخنازير، لحظة تنمو لديها ملكة تحريك الأشياء عن بعد، ووسط صراخها، تنغلق الأبواب وتندلع النيران في المكان الذي يتحول إلى جحيم، لاقى الفلم نجاحاً كبيراً، كالرواية لأنهما نجحا في التغلغل إلى العالم الروحي للمتلقين وإحداث هزة داخلية في بواطنه، وتحولت مرة أخرى إلي فيلم بعنوان كاري عام 1999 لكنه لم يلق نفس النجاح.. بالطبع لأن السينما أخذت تظاهر أحداث النص الروائي، دون المساس بالعالم الروحي الذي استهدفه النص.

2-آليات نجاح فلم الميل الأخضر:

السيناريو بأقل جودةً من تصوير أحداثٍ يدور معظمها داخل السجن ماعداً بعض المشاهد الخارجية، الحياة داخل السجن بدت حقيقية، والأزياء والأجساد وطراز البناء كل ذلك أشار بدون تكلفٍ إلى ثلاثينات القرن العشرين، والتركيز على عمليات الإعدام بواسطة الكرسي الكهربائي بدا مؤثراً جداً... التصوير بإضاءة خافتة تعكس جو السجن ووقت الحدث ليلاً ونهاراً، لأنَّ الأحداث تجري في السجن طيلة الوقت، ولو أنَّ السجن بدا جديداً لماعاً كما لو أنَّه قد أنشئ للتو وهذا أحد أخطاء الفلم، الموسيقى التصويرية هادئة ومميزة، ومتوازنة مع المواقف كافة حتى الكوميديا التي لم يخلو منها الفلم.

د- تقنية سرد الأحداث:

دراما فنتازية، عن طريق تيار الوعي، بول إجيكومب في دار ترميز بعمر 108 سنة وهو يحمل معه الفار المسمى السيد تشرشل بعمر 64 سنة أكثر تسع مرات من عمر الفار الحقيقي، يروي أحداث صيف عام 1935 حين كان مسؤل القسم E في السجن، أو مبنى الإعدام حيث تقابل بول إجيكومب (توم هانكس) المسؤل عن هذا القسم والمصاب بالتهاب المجاري البولية، والذي على استعداد لاستقبال السجن الجديد القاتل المُدان جون كوفي، عملاق لطيف، يضاف من الظلام، يشفي زوجة المدير من مرض عضال، يطلب جون كوفي من بول إجيكومب ومن المراقب جيمس كرومويل بدور هال موريس أن يرافقه إلى إعدامه، ثم يوضِّح إجيكومب لصديقه لماذا هو قادر على تذكُّر أحداث 1935، لكن الفلم طويل جداً ثلاث ساعات وتسع دقائق، الموسيقى لعبت دوراً في بيت التقاعد بينما يخرُج بول إجيكومب كبير السن من غرفته تماماً كدور الممرضات الموسيقي اللاتي لعبته في وقت الدواء في فلم أدهم طار فوق عُشِّ الوقواق (1975) بطولة جاك نيكلسون.

الليلية، ثم بعض الأدوار الثانوية كحارس أمن أيضاً، ساعدته صداقته من بروس ويلس 1998 من الفوز ببعض الأدوار، وترشح لجائزة أكاديمية الأوسكار كأفضل ممثل مساعد، ونال جائزة الكرة الذهبية، لدوره في الميل الأخضر السجين الأسود الضخم جون كوفي، والممثل بيرسي ويتمور، حارس سادي شرير، يستمتع بإخافة وإيذاء السجناء، ابن أخ زوجة الحاكم، يقتل فار أحد السجناء فيشفيه له جون كوفي، ثم يصل قاتل عنيف وليام وارتون، وفي مشهدٍ ما يمسكُ ذراع كوفي، ويحسُّ كوفي بأنَّ وارتون هو القاتل الحقيقي للبتين المدان بقتلهما جون كوفي، كوفي يستعمل قدراته لدفع الحارس المؤذي ويتمور إلى وارتون، ويضرب القاتل المؤذي السادي، يشكُّ إجيكومب بكوفي، الذي يقولُ بأنَّه عاقب الرجال المفسدين، ثم يأخذ يد إجيكومب ويمنحه الرؤية التي رآها حين مسَّه وارتون، رؤية لا يتحملها إجيكومب، لأنَّه يرى المشهد الدموي كيف قام القاتل بقتل الفتاتين الصغيرتين اللتين يدان بقتلهما كوفي، فينفلت منه بول وهو في شبه غيبوبة.

ب- الإنسان موضوعة النص:

المتناقضات والمتشابها، الموت الذي يهابه الإنسان في زنازة محكومى الإعدام ويهزأ به الحمقى، الحارس السادي الذي وضع الماء على قبعة كرسي الإعدام الكهربائي ليحترق المعدوم ويزداد عذابه، وقتله فار أحد السجناء بلا أبالية ونجاح السجن جون كوفي في منحه حياة جديدة، والمرض والصحة، بول الحارس المريض وزوجة مدير السجن المريضة يشفيهما جون كوفي، البراءة والإجرام في نظرات السجناء، الخير والشر، الحب والحقد، القوة والضعف، الخوف والشجاعة، تخطيط بول الماكر للتخلص من الحارس السيئ قريب الحاكم.

ج- التصوير والسيناريو:

ما يسمعه المتلقي يعادل ما يبصره، ولم يكن